أثر ارتباط كتابة المغازي بدراسة الحديث في بداية تدوين السيرة النبوية

د. مها صالح مطر*

ملخص البحث

يبين هذا البحث، التفريق في معنى كلمة المغازي ، ومعنى كلمة السيرة، فاقتصرت معنى كلمة المغازي على غزوات الرسول التي تعني بتاريخ النبي محمد (ﷺ) في المدينة منذ أول اعلان للحرب مع القبائل المشركة إلى إن توفي الرسول محمد (ﷺ) اما كلمة السيرة فأخذت تشكل كل الأخبار التي تروي عن حياة الرسول(ﷺ) وتشمل نسبه، وولادته، والظروف التي رافقت ذلك ، وكفالته، وصباه، وشبابه، وبعثته، ونزول الوحي عليه، وبداية دعوته، ومراحل هذه الدعوة، وهجرته الى المدينة، وبنائه لدولة الإسلام في المدينة ، والدفاع عن هذه الدولة ، وقيادته للغزوات، والفتوحات، ومرضه، ووفاته، ولحاقه بالرفيق الأعلى .

لذلك أحببتُ أن أبين أيضا الغاية المرجوة من بحثي هذا ألا وهي أن علم السيرة النبوية ينسب إلى علمين كبيرين هما: (علم الحديث) و (علم التاريخ) وهذا الانتساب تفرضه طبيعة علم السيرة النبوية بعد انفصالها عن علم المغازي.

Abstract

The current research deals with the discrimination between the two words; namely "forays" and "biography' and the word forays was confined in its meaning to the battles prophet Mohammed peace be upon him Madeenah since the first outbreak of the first war with the disbelieving tribes until his death (peace be upon him). From the other hand, the word "biography" represents all the news and information about the life of the prophet including his birth, the circumstances accompanied that, his youth and the revelation descended to him, the beginning of his call to Allah, his immigration to Madeenah, building the state of Islam in Madeenah,

* محاضرة / جامعة الموصل / كلية العلوم الاسلامية

defending the state of Islam, the forays and battles he led and finally his death peace be upon him .

Therefore, the researceher wanted to illustrate the main objective of this research, which is demonstrating that the Prophetic biography (Serah) is associated with two sciences, namely: (Hadith) and (history) and this association is imposed by the nature of the Prophet's Biography after it has been separated from the forays science .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد البشير الأمين، وعلى أله الطيبين الطاهرين، وصحابته الأخيار الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: لقد عرفت الدراسات الأولى لحياة الرسول (ﷺ) باسم المغازي، ثم استعمل المؤرخون بعد ذلك مصطلح السيرة للدلالة على المضمون نفسه، فأصبح مصطلحا (المغازي والسيرة) مترادفين في المعنى.

ومن هنا أردت الوقوف على نوع من الافتراق بين معنى كلمة المغازي، ومعنى كلمة السيرة، ثم الكلام على علم الحديث، وعلم التاريخ، وأهم مراحله، ثم بينت أن سيرة الرسول (ﷺ)كان لها السبق في أنها أول العلوم التي دونت باباً من أبواب علم الحديث النبوي الذي جمعه رجال الحديث، ورتبوه على أبواب مستقلة سميت بكتاب المغازي، ولهذا كانت كتب المغازي النبوية محط عناية المسلمين منذ الصدر الأول، التي تطورت فيما بعد إلى السيرة النبوية.

فكان بحثي بعنوان (أثر ارتباط كتابة المغازي بدراسة الحديث في بداية تدوين السيرة النبوية)، وقد اعتمدت على الكتب القديمة، والمصادر الحديثة في إعداد هذا البحث الذي قسمته على مقدمة ومبحثين وخاتمة.

أما المبحث الأول: فقد خصصته للتعريف بالمعنى اللغوي لكلمة مغازي، مشتملاً على مطلبين: الأول تناول تعريف مفهوم السيرة لغةً، واصطلاحاً، والمطلب الثاني: تناول التعريف بعلم الحديث واقسامه.

وأما المبحث الثاني: فقد تناول الحديث عن علم التاريخ، وأهم مراحله، واشتمل على مطلبين: تناول المطلب الأول التعريف بالمحدثين الذين نقلوا الأحاديث النبوية، والمطلب الثاني تناول: الفرق بين كتب الحديث، وكتب السيرة، وكتب المغازي.

وفي الختام نرجو إن يكون هذا العمل المتواضع خالصاً لوجهه الكريم، فإن جاء وافياً فبتوفيق من الله سبحانه وتعالى وان جاء على غير ذلك، فقد اجتهدنا وبذلنا ما في وسعنا والحمد لله أولاً وآخراً.

المبحث الأول: التعريف بالمعنى اللغوي لكلمة مغازي

المعنى اللغوي لكلمة مغازي:

غزا الشيء غزواً: أي أراده وطلبه، والغزوة ما غزي وطلب، والغزو: السير إلى قتال العدو، غزاهم غزواً وغزواناً [١]، والمغازي: جمع المغزاة من غزوات العدو الذي قصدته للقتال، فهي تعني الغزوة والغزاة والمغزاة [٢]، والمغازي: مناقب الغزاة، أي مواضع الغزو، وقد تكون الغزو نفسه أي مناقبهم وغزواتهم [٣]، وهذا ما ذهب إليه عبد العزيز الدوري – أحد الباحثين المعاصرين– بقوله: "إن المغازي تعني لغوياً: غزوات الرسول (ﷺ) وحروبه" [٤].

لذلك أطلق على الكتب التي ألفت عن حياة الرسول (ﷺ) اسم (المغازي) حينما وصلتنا نصوص عن نشأة التدوين التاريخي عند العرب، والتي ركزت في البداية على دراسة حياة الرسول (ﷺ) [٥]، وقد عرفت تلك الدراسة بالدراسات الأولى لحياة الرسول (ﷺ) [٦]، ثم استعمل المؤرخون بعد ذلك مصطلح (السيرة) للدلالة على المضمون نفسه، فأصبح مصطلحا (المغازي والسيرة) مترادفين في المعنى، غير أن التطور التاريخي في استعمال هذين المصطلحين قد أدى إلى نوع من الافتراق في المعنى فاقتصر معنى كلمة المغازي على غزوات الرسول (ﷺ) [٧]، التي تعنى بتأريخ النبي محمد (ﷺ) في المدينة منذ أول صيحة للحرب مع القبائل المشركة إلى إن توفي (ﷺ) [٨]، أما كلمة السيرة فأخذت تشمل كل الأخبار التي تروي عن حياة الرسول (ﷺ)، وتشمل نسبه وولادته والظروف، التي رافقت ذلك وكفالته، وصباه، وشبابه، وبعثته، (ﷺ) ونزول الوحي عليه، وبداية دعوته للناس، ومراحل هذه الدعوة، وهجرته إلى المدينة، وبنائه لدولة الإسلام في المدينة، والدفاع عن هذه الدولة، وجهاد الأعداء في الداخل والخارج، وإرسال السفراء، والبعثات والسرايا، وقيادته (ﷺ) للغزوات والفتوح،

ومرضه، ووفاته، ولحاقه (ﷺ) بالرفيق الأعلى [٩]، أي كل ما يتصل بحياته (ﷺ) منذ ولادته حتى وفاته [١٠].

المطلب الأول: مفهوم السيرة لغةً واصطلاحًا:

السيرة لغةً: وهي السنة والطريقة، والهيئة، وجمعها سِيَر [١١]، والسيرة الطريقة في الشيء، والسنة لأنها تسير وتجري، يقال سارت وسيرتها أنا [١٢]، والمعنى أنت جعلتها سائرة في الناس، يقال سار بهم سيرة حسنة، أي سار الوالي في رعيته سيرة حسنة، وأحسن السير [١٣]، والسيرة: الهيئة وبه فسر قول الله سبحانه وتعالى: **{سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى}** [١٤].

وقد دلت اللفظة في هذه الآية الكريمة على الهيئة [١٥]، ومعنى السيرة متسلسل من المسلك أو طريقة الحياة [١٦].

أما الفقهاء فقالوا: إن أصل السيرة حالة السير، والسير المعاملة مع الكفار، وتقديم ما بالمسلمين أولى، وفي الشرع تختص بسير النبي محمد (ﷺ) في مغازيه، وقالوا: أصل السيرة حالة السير، إلا أنها غلبت في لسان الشرع على أمور المغازي [١٧].

السيرة اصطلاحًا: فهي ما كان عليه الرسول (ﷺ) من مولده إلى وفاته، وبيان أوصافه، وخصائصه، ومعجزاته، إلا أن أهل السير ضموا إلى سيرته العطرة ما قبل ولادته (ﷺ) أيضا [١٨].

ويمكننا أن نعرف علم السيرة: بأنه علم قائم بذاته في نشأته، ومنهجه وطريقته، ويمثل بداية التأريخ الإسلامي، وامتداداً لعلم الحديث، وفرعاً منه.. وهذا يؤكد الأصالة لا التبعية [١٩].

المطلب الثاني: التعريف بعلم الحديث واقسامه:

تعريف علم الحديث: فيتناول دراسة ما روي عن الرسول (ﷺ) من أقواله وأفعاله وتقريراته، وهي ما أقر عليه قومه من أقوال لم ينكرها عليهم، **وينقسم إلى قسمين:**

- **الأول:** علم دراسة الحديث، ويشتمل على دراسة متن الحديث، بالبحث عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث المروي، والغاية منه بالاستناد إلى قواعد اللغة العربية، وأسس الشريعة الإسلامية،
- **الثاني:** رواية الحديث، ويتناول دراسة سند الحديث المروي، للتأكد من حقيقة روايته، وصدقها، وكيفية اتصاله بالرسول (ﷺ)، والتعرف على رواته من حيث ضبطهم وعدالتهم [٢٠].

ولقد ظهر علم الحديث عندما ظهرت الحاجة إلى تدوين الأحاديث النبوية، فقد كان الاعتماد في روايته أول الأمر على ما كان يحفظه الصحابة، وما أخذه عنهم تابعوهم، والذين بعدهم، كما كان الأمر في حفظ القرآن الكريم، إلا أنه عندما انتشر العرب في الأمصار، وتفرق حفاظ الحديث، وطوى الموت أغلبهم، شعر رجال الحديث بالحاجة إلى تدوين الأحاديث المروية عن الرسول (ﷺ)، وتفرغ قسم منهم للعمل في جمع الحديث من حفاظه، والسعي وراءهم أينما كانوا، وتدوين ما يتأكدون من صحته، وقد تواضع أئمة الحديث على ضوابط ومقاييس لتحقيق ما يتناوله دراسة علم الحديث بقسميه الرئيسين، فنشأ عن ذلك ما عرف بـ (علم أسماء رجال الحديث) أي رواته [٢١]، وظهر علم الجرح والتعديل الذي هو مفخرة من مفاخر هذه الأمة ومن خصوصياتها، حيث لا يوجد عند أمة أخرى حتى يومنا هذا.

وبذلك تعد تلك الجهود التي بذلت في كتابة الحديث ودراسته بداية لظهور الكتابة التأريخية عند المسلمين [٢٢]، وبالتالي ساعدت على تطور فكرة التأريخ عندهم فضلاً عن أنها كشفت عن علاقة الحديث بالتأريخ [٢٣].

المبحث الثاني: التعريف بعلم التاريخ وأهم مراحله

يعد علم التأريخ: من العلوم الواسعة لأنه سجل حافل بتجارب البشرية على مدار التأريخ والعلم به، وإدراك أبعاده يكسب صاحبه خبرة، ومعرفة وفهماً لأحداث الأمم، فيكون عاملاً مشهوداً له، تجمعت لديه عقول البشرية، فهو يستشيرها ويأخذها سداداً وصواب رأي [٢٤].

ويفهم من ذلك كله أن علم السيرة النبوية ينسب إلى علمين كبيرين، هما: علم الحديث، وعلم التأريخ، وهذا الانتساب تفرضه طبيعة علم السيرة النبوية على وجه الخصوص، فالسيرة من جهة داخلة في مفهوم السنة؛ وهي ما أثر عن النبي (ﷺ) من أقوال ، وأفعال، وتقريرات، وصفات خلقية، وخلقية، والسيرة النبوية من جهة أخرى مرحلة زمنية في التأريخ البشري، وقد كتب فيها مصنفو التأريخ بهذا الاعتبار، وقد اهتم علماء الفريقين بالكتابة فيها، ومن نافلة القول الإشارة إلى أن مصطلح الحديث كان له أثره في منهج نقد الرواية في علم التأريخ عامة، ويعد علماء المسلمين أول من نظم نقد الروايات التأريخية، وضبط الرواية في كتب السيرة النبوية، حتى ما ورد منها في

المصنفات التأريخية كان ظاهرا بشكل كبير، لما لهذه السيرة من أهمية في حياة المسلمين، فهي ليست تأريخاً يقرأ فحسب، بل هي مصدر للاقتداء والتأسي والمتابعة لشخص صاحب هذه السيرة العطرة، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم [٢٥] .

ومن الجدير بالذكر أن نشأة علم التأريخ عند العرب مرت بثلاث مراحل هي [٢٦] :

المرحلة الأولى: تمثلها مدرسة المحدثين، وهي مدرسة المدينة.

المرحلة الثانية: مرحلة الأخباريين، الذين يجمعون الأخبار، والقصص، وتمثلها مدرسة العراق.

المرحلة الثالثة: مرحلة المؤرخين، فمنهم من اقتضى أثر مدرسة المحدثين، ومنهم من اقتضى أثر مدرسة العراقيين.

المطلب الأول : المحدثون:

هم الرواة الذين نقلوا الأحاديث النبوية بمتونها، وأسانيدها خلال القرون الإسلامية الأولى، إذ إن الرواية والحفظ هما في المقام الأول على الرغم من ظهور الكتابة في بدايتها الأولى في عصر الرسالة الإسلامية، ثم توسع التدوين خلال القرن الأول، ثم ظهرت المصنفات الحديثية المرتبة على الأسانيد، والموضوعات خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة/ الثامن والتاسع للميلاد [٢٧]، وإذا لابد للمحدث أن يأخذ الطابع التشريعي للنص، وإثبات صحة النص، أو عدم صحته لأنها جزء من الدين [٢٨]، ولما كانت السيرة النبوية هي جزء من السنة النبوية، فهي تخضع في إثبات أخبارها عند المحدث، لأنه يتعامل مع دين ورسالة وإيمان لا مع مجرد قصص وروايات وأحداث [٢٩].

أما بالنسبة للإخباريين فهم رواة الأخبار التأريخية الذين ظهروا في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وجمعوا معلومات واسعة عن حركات الردة والفتوحات وأوضاع الحياة في عصر الخلافة الراشدة، والدولة الأموية، والعصر العباسي الأول، وبذلك مهدوا لظهور المؤرخين الكبار [٣٠].

وفيما يخص المؤرخين فهم يهتمون بدراسة الواقعة التأريخية في ظروفها المكانية والزمانية والاجتماعية [٣١]، وهم بالطبع رجال الحديث ورواته، إلا أن اهتمامهم بأمر السيرة النبوية جعل لهم نوعاً من التفرد في هذا الميدان، وإن أغلب مؤرخي السيرة، وكتابها كانوا من أهل المدينة، لأنهم أقرب إلى الأحداث وإلى رواتها، وكانت تنقل عنهم عن طريق الإسناد، كما في رواية الحديث، إلا أن

بعض مؤرخي السيرة أسقطوا الأسانيد مراعاة للاختصار من ناحية، وللوصول لسلسلة الحوادث من ناحية أخرى، إلا أنهم تعرضوا لنقد رجال الحديث وتجريحهم [٣٢].

وهكذا كانت بداية التأليف العلمي للتأريخ عند المسلمين وثيقة الصلة بالحديث والسنة، فلا عجب أن علم الحديث والسنة [٣٣]، يهدف إلى دراسة أقوال الرسول (ﷺ) وأفعاله وتقاريره، وأن علم التأريخ يهدف إلى دراسة سيرة الرسول (ﷺ) وأعمال الصحابة والجماعة الإسلامية الناشئة وأخبار الغزوات والجهاد [٣٤].

المطلب الثاني: الفرق بين كتب الحديث وكتب السيرة وكتب المغازي:

يتمثل في كون كتب السيرة تسوق كثيراً من الروايات بأسانيد مرسلة ومنقطعة، وتوجد هذه الروايات في كتب الحديث متصلة مسندة مما يوثق معلومات كتب السيرة [٣٥]، فكانت سيرة الرسول (ﷺ) أول ما دونت باباً من أبواب علم الحديث النبوي الذي جمعه رجال الحديث، ورتبوه على أبواب مستقلة سميت بـ (كتاب المغازي) [٣٦]، ولهذا كانت كتب المغازي النبوية محط عناية المسلمين منذ الصدر الأول [٣٧]، ومن أوائل الرواة المهتمين بالحديث والمغازي [٣٨]، التي تطورت فيما بعد إلى السيرة النبوية[٣٩] ،عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ / ٧١٢م)[٤٠] ، وأبان بن عثمان (ت بين ٩٥هـ/ ٧١٣م)، (١٠٥هـ- ٧٢٣م) ، اللذان مهدا الطريق لنشأة التدوين التاريخي وظهور مدرسة المدينة [٤١].

وأول من اشتهر بمعرفة المغازي معرفة دقيقة هو أبان بن عثمان [٤٢]، فضلاً عن كونه عالماً بالحديث [٤٣]، وشهرته حسنة بين المحدثين [٤٤]، ولهذا روت عنه كتب الحديث كثيراً [٤٥]، وممن روى عنه: عمرو بن دينار، وابن شهاب الزهري، وأبو الزناد [٤٦]، وابنه عبد الرحمن [٤٧].

إذاً كان أبان يمثل مرحلة الانتقال بين دراسة الحديث ودراسة المغازي [٤٨]، لكونه محدثاً وله ميل لدراسة المغازي [٤٩]، ولكن مروياته في السيرة قد فقدت، ولم نجدها عند مؤلفي السيرة كابن إسحاق (ت ١٥١هـ/ ٧٦٤م)، والواقدي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م)[٥٠] ،وابن سعد (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م) ، بينما لم يستخدم مروياته من المؤرخين سوى اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/ ١٨٩٦م) فقط [٥١]، وما روي عنه من خبر فهو في السيرة خاصة لا التأريخ [٥٢]، لأن أبان كان محدثاً لا مؤرخاً [٥٣]، وهذا ما ذهب إليه ابن سعد في أثناء حديثه عن المغيرة بن عبد الرحمن قائلاً: " كان ثقة قليل الحديث إلا مغازي رسول

الله (ﷺ)، أخذها من أبان بن عثمان، فكان كثيراً ما نقرأ عليه، ويأمرنا بتعليمها" [٥٤]، ويبدو أن هذه المغازي التي رواها المغيرة عن أبان ليست كتاباً بالمعنى الدقيق، وإنما هي مجموعة من الأخبار المتعلقة بحياة النبي محمد (ﷺ) [٥٥]، كذكر الأنصار في العقبتين، والأنصار في غزوة بدر الكبرى [٥٦]، ويظهر أن هذه الأخبار قد ضاعت [٥٧]، وهذا تأكيد على ما ذكرناه مسبقاً.

ويتبين لنا مما سبق أن أبان بن عثمان كان محدثاً قبل أن يبدي اهتمامه بالمغازي [٥٨]، وقد ظلت المغازي في الأغلب أحاديث قريبة بشكل مترابط تكون وحدة موضوعية متماسكة متجانسة كما هو ظاهر في كتابات عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ / ٧١٢م)، واكتملت بظهور شخصية الزهري (ت ١٢٤هـ/ ٧٤٢م) الذي اعتمد على عروة كثيراً، وأخذ عن غيره من كبار المحدثين، وأثر تأثيراً واضحاً في تلامذته الذين جاءوا من بعده مثل: موسى بن عقبة (ت ١٤١هـ / ٧٥٨م) [٥٩].

أما عروة بن الزبير، وهو أول من ألف كتاباً في المغازي [٦٠]، وقد وصلنا شيء من مغازيه في مقتبسات وردت عند بعض المؤرخين وابن إسحاق (ت: ١٥١هـ/ ٧٦٤م)، والواقدي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م)، كالطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م)، وابن سيد الناس (ت ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م)، وابن كثير (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م). وهذه المقتبسات هي أقدم ما وصلنا من تأريخ المغازي، فضلاً عن بعض الجوانب المتعلقة بحياة الرسول (ﷺ)، كبدء الوحي، وانطلاق الغزوات، وعدداً من الشؤون الخاصة، ولم يدخل عروة في مغازيه تفاصيل القتال [٦١]، أي من استعداد النبي (ﷺ) لاستقبال الوحي... حتى وفاته [٦٢]، وبهذا يُعدّ عُروة مؤسس دراسة المغازي [٦٣]، فضلاً عن كونه محدثاً، وفقيهاً من فقهاء المدينة السبعة [٦٤]، (وكان ثقة، كثير الحديث، فقيهاً، عالياً، مأموناً، ثبتاً) [٦٥]، وقد روى الحديث عن خالته السيدة عائشة (رضي الله عنها، وعن أبيها)، وعن زيد، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس (رضي الله عنهم) [٦٦]، إلا أنه لم يصل إلينا الكثير من روايته، ولكنها وجدت في كتب الحديث، والسير، والطبقات، كسيرة ابن إسحاق، والواقدي، والطبري، وابن سيد الناس، ... وغيرهم [٦٧].

واعتمد الزهّري في المغازي على عروة بن الزبير بالدرجة الأولى، ودرس معه كما يبدو في فترة قصيرة، وكان ينظر إليه باحترام خاص [٦٨]، ويرى أنه " بحر لا تكدره الدلاء" [٦٩]. وقد تحدث حاجي خليفة عن مغازي الزهري فقال: " ومنها (أي المصنفات في المغازي) مغازي محمد بن مسلم الزهري" [٧٠]، أي أن روايات عروة كانت هي المصدر الأول للزهري فيما وصلنا من مغازيه [٧١]، ولكن مغازيه هذه لم تصل إلينا إلا مقتطفات جمعت في كتاب (المغازي النبوية) وهو يحوي أخباراً متفرقة عن سيرة الرسول (ﷺ) ومغازيه، كما وردت قطع منه في سيرة ابن إسحاق، والواقدي، والطبري، وابن سيد الناس [٧٢].. فهو أول من أعطى السيرة هيكلاً محدداً، وراعى التسلسل التاريخي في حوادث السيرة النبوية، وأعطى تواريخ الحوادث المهمة [٧٣]، ولهذا زخرت كتب السيرة بالنقول والرواية عن الزهّري، حتى لا نجد كتاباً من كتب السيرة إلا وفيه اقتباسات كثيرة عنه [٧٤]، وجُلُّ مواده عن السيرة كانت قد أخذت من كتب الحديث [٧٥]، لأن الزهري كان محدثاً، وفقيهاً أيضاً [٧٦]، فضلاً عن تأليفه في المغازي [٧٧]، لذلك أدى دوراً مهماً في إرساء الأسس، والثوابت العامة لكتابة السيرة النبوية [٧٨] ، ولقد استند موسى بن عقبة في المغازي على الزهري بالدرجة الأولى [٧٩]، وتبين ذلك من خلال الروايات التي كانت قد اجتمعت لدينا من مغازيه، أي أن قسماً منها كان قد حصل عليها عن طريق أستاذه الزهري [٨٠]، والدليل على ذلك ما قد قيل عن موسى: " كان عالماً بالمغازي أخذها عن ابن شهاب وغيره" [٨١]، ويرجح أن موسى كان يملك كتاب أستاذه الزهري، لأنه في أكثر من موضع من مغازيه يقول:" قال ابن شهاب" [٨٢]، أي أن موسى كان له دور بارز في توثيق أحداث السيرة والمغازي، وقد صنف كتاباً في مغازي رسول الله (ﷺ) [٨٣]، اشتمل على حياة رسول الله (ﷺ) قبل البعثة، ثم حياته وأعماله بعد البعثة [٨٤]، وقد وصلت إلينا مقتطفات منه في كتب مصنفي السير من أمثال: الواقدي، وابن سعد، والطبري [٨٥]، فكانت مغازيه من أصح المغازي [٨٦]، يقول مالك بن أنس: " عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة " [٨٧]، لأنه كان قد اعتمد على شيخه وشيخ أستاذه الزهري؛ عروة بن الزبير في الحصول على الكثير من المعلومات في المغازي [٨٨].

فموسى بن عقبة كان قد روى عن عروة [٨٩]، والدليل على ذلك ما ذهب إليه الخطيب البغدادي بقوله: " أخبرنا الحسن بن أبي بكر، أخبرنا أحمد بن إسحاق بن منجاب الطيبي، حدثنا الحسن بن

علي بن زياد، حدثنا أبو نعيم ضرار بن صرد، حدثنا زيد بن حباب عن أبي معشر عن موسى بن عقبة، عن عروة بن الزبير، قال: " كتبت الحديث ثم محوته، فوددت أني فديته بمالي وولدي وأني لم أمْحُه " (٩٠).

وقد تبين لنا أن موسى بن عقبة كان من المتبحرين في المغازي (٩١)، ومن كبار المحدثين وثقاتهم (٩٢) ، وكان هؤلاء ممن اشتهروا بالرواية في المغازي والسير، أو التصنيف فيها على وجه التحديد، وهناك البعض منهم ممن صرح بتصنيفهم تحت هذا المصطلح – أي المغازي – من الآتية أسماؤهم (٩٣): –

- عاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠هـ/ ٧٣٧م) كان عالماً بالمغازي والسير (٩٤)، وكانت سيرته من المصادر المهمة التي اعتمد عليها ابن إسحاق، والواقدي (٩٥).
- شرحبيل بن سعد المدني (ت ١٢٣هـ/ ٧٤٠م) كان عالماً بالمغازي (٩٦)، قال عنه سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م):" لم يكن أعلم بالمغازي والبدريين منه" (٩٧).
- عبد الله بن أبي بكر بن حزم الأنصاري (ت ١٣٥هـ/ ٧٥٢م) نقلت عنه أخبار كثيرة ذكرها ابن إسحاق، والواقدي، وابن سعد، والطبري (٩٨).
- محمد بن إسحاق (ت١٥١هـ/ ٧٦٤م) وهو إمام المغازي (٩٩)، حتى قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م) (١٠٠) عنه: "من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق" (١٠١).. وكتابه (المغازي) لم يظهر كاملاً حتى الآن، وقد طبع قسم منه بتحقيق الدكتور محمد حميد الله الحيدر آبادي، وطبع ثانية بتحقيق الدكتور سهيل زكار (١٠٢).
- معمر بن راشد (ت ١٥٣هـ/ ٧٧٠م) له كتاب بالمغازي (١٠٣)، وصلت إلينا منه مقتطفات في كتب الواقدي، وابن سعد، والطبري، والبلاذري (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، وينسب قوله إلى الزهري (ت ١٢٤هـ / ٧٤٢م) شيخه (١٠٤).
- محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م) يعد إماماً في المغازي والسير (١٠٥)، ومادته في المغازي غزيرة ثرية (١٠٦)، وله كتاب المغازي بتحقيق الدكتور مارسدن جونس، ولعلّ من أهم

سماته تطبيق منهج علمي في ترتيب الحوادث، فيبدأ في مغازيه بذكر قائمة طويلة من أسماء الذين نقل عنهم، ثم يذكر المغازي مسلسلة مع تحديد تأريخ الغزوة أو السرية، ثم يذكر المغازي التي غزاها النبي (ﷺ)، وأسماء الذين استخلفهم على المدينة، ثم يذكر شعار المسلمين في القتال، ثم يفرد ما نزل من آيات في الغزوة، ويفسرها، وغير هؤلاء كثير [١٠٧].

الخاتمة

إن خلاصة ما تقدم تبين أن كتب السيرة الأولى اتسمت بالطابع الشخصي في بداية تدوينها، إذ كانت مجرد جهود فردية قام بها عدد من الصحابة (رضوان الله عليهم جميعاً) والتابعون، فسجلوا بعض الأحداث التي بينت دور النبي (ﷺ) في بعض نواحي الحياة، وخاصة السياسية منها، فكانت بذلك المادة الأولى لكتابات الجيل الثاني من التابعين وتابعي التابعين الذين دونوا بعض أحداث السيرة بشمولية واتساع أكثر من سابقيهم، ليكونوا بجهودهم تلك الأساس الذي استندت إليه المصنفات الشاملة والمبوبة لسيرة الرسول (ﷺ) وأحواله، فتعددت وتكاثرت، واختلفت من مصنف إلى آخر[١٠٨].

وإن التصنيف والكتابة المتخصصة بسيرة الرسول (ﷺ) كانت قد ظهرت في المدينة المنورة التي عنيت بدراسة الحديث، وظهرت بأول صورة على شكل مغازي رسول الله (ﷺ)، والتي لم تكن تشمل غزواته فقط، بل امتدت لتشمل حياته كلها.. وعليه فإننا نجد مصدر هذه الدراسة في المدينة المنورة، ولا نجد في غيرها من المدن علماء في المغازي إلا في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وهذا يفسر لنا مدى ارتباط كتابة المغازي بدراسة الحديث، وهذا الارتباط ترك طابعاً لا يمحى في المنهج التاريخي باستخدام هذا المنهج للإسناد [١٠٩]، لأن أغلب مصادر السيرة، قد أوردت روايات مقرونة بأسانيدها، فمعظم رواة السيرة كانوا من المحدثين الذين ترجمت لهم كتب الرجال، وأوضحت أحوالهم، وبينت ما قيل فيهم من جرح وتعديل [١١٠].

الهوامش

(١) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠م ، ١٥/ ١٢٣.

(٢) هناء سالم ضايع، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس (دراسة في المنهج والمضمون)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٩م، ص ١٠.

(٣) ابن منظور، المصدر السابق، ١٥/ ١٢٤.

(٤) عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التأريخ عند العرب، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٠م، ٢٤.

(٥) نهال خليل يونس الشرابي، مغازي رسول الله (ﷺ) لموسى بن عقبة (ت ١٤١هـ/ ٧٥٨م)، ابن الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ٢٠٠٧م، ص ٦١.

(٦) الدوري، المرجع السابق، ص ٢٤.

(٧) الشرابي، المرجع السابق، ص ٦١.

(٨) يوسف هوروفنتس، المغازي الأولى ومؤلفوها، ترجمة، حسين نصار، مطبعة مصطفى البابي وأولاده ، مصر، ١٩٤٩م، ص ٨٦.

(٩) محمد عبد القادر أبو فارس، السيرة النبوية (دراسة تحليلية)، ط٢، دار الفرقان، الأردن، ٢٠٠١م، ص ٥١.

(١٠) الشرابي، المرجع السابق، ص ٦١.

(١١) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م، ٢/ ٥٤؛ ابن منظور، المصدر السابق، ٤/ ٣٨٩.

(١٢) محمد بن جرير الطبري، تأريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ ، ١/ ٤٥٤.

(١٣) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦هـ، ٣/ ٢٨٧.

(١٤) سورة طه/ الآية: ٢١.

(١٥) ابن منظور، المصدر السابق، ٤/ ٣٨٩.

(١٦) الزبيدي، المصدر السابق، ٤/ ٣٨٩.

(١٧) عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، طبعة بولاق، (د. م)، (د. ت)، ٣/ ٢٤.

(١٨) علي بن عمر بادحدح، مدخل إلى فقه السيرة، بحث منشور على موقع الإسلام اليوم لسنة ٢٠٠٥م، ص ١.

(١٩) مصطفى سعيد الخن، ومحيي الدين ديب مستو، مناهج التأليف في السيرة النبوية خلال القرون الأربعة الأولى من الهجرة النبوية، ط١، دار الكلم الطيب، دمشق، ٢٠٠٠م،ص ٦٩.

(٢٠) أحمد عبد الباقي، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩١م،ص ١٧٨.

(٢١) المرجع نفسه، ص ١٧٨.

(٢٢) محمود ياسين التكريتي، عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم الأنصاري وكتابته التأريخية في السيرة والمغازي، بحث منشور في مجلة الرافدين، العدد (٦)، جامعة الموصل، (١٩٧٥م)، ص١٥٨.

(٢٣) المرجع نفسه، ص ١٥٨.

(٢٤) إبراهيم بن إبراهيم قريبي، مرويات غزوة بني المصطلق (المريسيع)، لجنة أحياء التراث الإسلامي، السعودية، (د. ت)، ص ١٥.

(٢٥) إبراهيم بن صالح الحميدان، اتجاهات الكتابة والتصنيف في السيرة النبوية ودراساتها الدعوية، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (العدد: ٤٠)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤٢٣هـ) ، ص ٩- ١٠.

(٢٦) الدوري، المرجع السابق، ص ١٣- ١٨.

(٢٧) ضايع، المرجع السابق، ص ٧.

(٢٨) محمد عبد الله عويضة، منهج التعامل مع السيرة النبوية، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (٤٨)، بغداد، (٢٠٠١م)، ص ١٥٧.

(٢٩) المرجع نفسه، ص ١٥٦.

(٣٠) ضايع، المرجع السابق، ص ٧.

(٣١) حسين مؤنس، دراسات في السيرة النبوية، الزهراء للإعلام، ط٢، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ١٤.

(٣٢) محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥م، ص ٣٠- ٣١.

(٣٣) سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التأريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٧٦م، ص ٢٤.

(٣٤) المرجع نفسه، ص ٢٤.

(٣٥) أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نفد روايات السيرة النبوية، ط١، مكتبة العبيكان الرياض، ١٩٩٥م، ص ١/ ٤٢.

(٣٦) حسن، المرجع السابق، ص ٣٠.

(٣٧) فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية وتقويمها، دار الثقافة، ط١، المغرب، ١٩٨٠م ، ص ١٣، ١٩.

([٣٨]) عبد الستار حمدون، الزهري ومنهجه في التدوين التأريخي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٩م، ص ٥.

([٣٩]) عبد الواحد دنون طه، نشأة تدوين التأريخ العربي في الأندلس، ط١، (د. م)، ١٩٨٨م، ص ٥- ٦.

([٤٠]) شاكر مصطفى، التأريخ العربي والمؤرخون، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨م، ١/ ١٥٢؛ حسين نصار، نشأة كتب السيرة عند العرب، مجلة الأديب، المجلد (٢)، القاهرة، ١٩٥٠م، ص ١٣.

([٤١]) حمدون، المرجع السابق، ص ٥.

([٤٢]) يوسف هور فنس، المرجع السابق، ص ٣.

([٤٣]) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مأمون الصاغرجي، وشعيب الأرناؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م، ٤/ ٣٥٢.

([٤٤]) هور فنس، المرجع السابق، ص ٤.

([٤٥]) مصطفى، المرجع السابق، ١/ ١٥٢.

([٤٦]) الذهبي، المصدر السابق ، ٤/ ٣٥٢.

([٤٧]) هور فنس، المرجع السابق، ص ٤.

([٤٨]) الدوري، المرجع السابق، ص ٢٤.

([٤٩]) المرجع نفسه، ص ٢٤.

([٥٠]) هور فنس، المرجع السابق، ص ٥.

([٥١]) مصطفى، المرجع السابق، ١/ ١٥٢.

([٥٢]) المرجع نفسه، ١/ ١٥٢.

([٥٣]) المرجع نفسه، ١/ ١٥٢.

([٥٤]) محمد بن منيع، الطبقات الكبير، تصحيح، إدوارد سخو، ليدن، ١٢٣٨م ، ٥/ ١٥٦.

([٥٥]) نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، (د. م)، (د. ت)، ص ١٩٣.

([٥٦]) محمد جاسم حمادي، أثر دراسة التدوين والإسناد في الحديث على نشوء وتطور الفكر التأريخي، مجلة المؤرخ العربي، العدد (٢٣)، بغداد، (١٩٨٣م)، ص ٢٧٧.

([٥٧]) نصار، المرجع السابق، ص ١٩٣.

([٥٨]) حمادي، المرجع السابق، ص ٢٧٧.

([٥٩]) المرجع نفسه، ص ٢٧٧.

(٦٠) صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، الوافي بالوفيات، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م، ١٦/ ٢٤٨.

(٦١) الدوري، المرجع السابق، ص ٢٤– ٢٥.

(٦٢) الشرابي، المرجع السابق، ص ٢٦.

(٦٣) المرجع نفسه، ص ٢٤.

(٦٤) المرجع نفسه، ص ٦١.

(٦٥) الصفدي، المصدر السابق، ١٦/ ٢٤٨؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، ٤/ ٢٢٦.

(٦٦) الذهبي، المصدر السابق، ٤/ ٤٢١– ٤٢٢؛ تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)، ١/ ٦٢.

(٦٧) هوروفنتس، المرجع السابق، ص ١٩؛ الدوري، المرجع السابق، ص ٢١.

(٦٨) الدوري، المرجع السابق، ص ٧٩.

(٦٩) ابو إسحاق الشيرازي، طبقات الفقهاء، تصحيح: خليل الميس، دار العلم، بيروت، (د. ت)، ص ٤١؛ محمد مصطفى الأعظمي، مغازي رسول الله (ﷺ) لعروة بن الزبير، منشورات مكتبة التربية لدول الخليج، الرياض، ١٩٨١م، ص ٦٦.

(٧٠) مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بغداد، (د. ت)، ٢/ ١٧٤٧.

(٧١) الدوري، المرجع السابق، ص ٧٩.

(٧٢) أبو عبيد القاسم بن سلام الجمحي، كتاب النسب، تحقيق: مريم محمد خير الدرع، تقديم: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د. م)، (د. ت)، ص ١٠٢.

(٧٣) الدوري، المرجع السابق، ص ٢٣.

(٧٤) عمار عبودي نصار، تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٥م، ص ٦٦.

(٧٥) الدوري، المرجع السابق، ص ٢٣.

(٧٦) ابن سلام الجمحي، المصدر السابق: ١٠٢؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، مراجعة: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص ١٣٠.

(٧٧) الدوري، المرجع السابق، ص ٧٩.

([٧٨]) المرجع نفسه، ص ٢٣.

([٧٩]) الشرابي، المرجع السابق، ص ٥١.

([٨٠]) الشرابي، المرجع السابق، ص ٢٢.

([٨١]) المرجع نفسه، ص ٢٢.

([٨٢]) المرجع نفسه، ص ٢٣.

([٨٣]) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٢٩.

([٨٤]) الشرابي، المرجع السابق، ص ٦١.

([٨٥]) ابن عبد البر، المصدر السابق، ص ٢٩.

([٨٦]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/ ١١٤- ١١٨.

([٨٧]) هور فنس، المرجع السابق، ص ٧٠.

([٨٨]) الشرابي، المرجع السابق، ص ٥١.

([٨٩]) الذهبي، المصدر السابق، ٦/ ١١٥؛ تذكرة الحفاظ ، ١/ ١٤٨.

([٩٠]) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تقييد العلم، تحقيق: يوسف العش، ط٢، دار إحياء السنة النبوية، (د. م)، ١٩٧٤م، ص ٦٠.

([٩١]) هور فنس، المرجع السابق، ص ٧٠.

([٩٢]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦/ ١١٥؛ تذكرة الحفاظ ، ١/ ١٤٨.

([٩٣]) الحميدان، المرجع السابق، ص ١٢- ١٣.

([٩٤]) فؤاد سزكين، تأريخ التراث العربي، ترجمة: محمود فهمي حجازي، دار الثقافة والنشر، السعودية، ١٩٨٣م، ١/ ٧٣؛ ضايع، المرجع السابق، ص ١٧.

([٩٥]) هور فنس، المرجع السابق، ص ٤١.

([٩٦]) ابن سعد، المصدر السابق، ٥/ ٢٢٨؛ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، الجرح والتعديل ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٩٥٢م، ٤/ ٣٣٨- ٣٣٩.

([٩٧]) شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، مطبعة حيدر آباد، الدكن، ١٣٢٦هـ، ٤/ ٣٢١- ٣٢٢.

([٩٨]) سزكين، المرجع السابق، ١/ ٨٠؛ ضايع، المرجع السابق، ص ١٨.

([٩٩]) ابن سعد، المصدر السابق، ٧/ ٦٧؛ محمد بن إسحاق بن النديم، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، (د. م)، ١٩٦١م، ص ١٠٥؛ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ١/ ٢٢١؛ فتح الدين أبو فتح محمد بن محمد بن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ١٩٩٢م، ١/ ٤٥- ٦٧.

([١٠٠]) أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م، ١٠/ ٢٥١- ٢٥٤.

([١٠١]) ابن الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ١/ ٢٢١؛ ابن سيد الناس، المصدر السابق، ١/ ٤٥- ٦٧.

([١٠٢]) الحميدان، المرجع السابق، ص ١٢.

([١٠٣]) ابن النديم، المصدر السابق، ص ١٠٦.

([١٠٤]) هور فنس، المرجع السابق، ص ٧٤.

([١٠٥]) ابن سعد، المصدر السابق، ٧/ ٦٧؛ الذهبي، سير إعلام النبلاء، ٦/ ١١٥؛ تذكرة الحفاظ ، ١/ ١٤٨.

([١٠٦]) الخن، المرجع السابق، ص ٢٨٥- ٢٨٦.

([١٠٧]) الحميدان، المرجع السابق، ص ١٣.

([١٠٨]) عمار عبودي نصار، تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٥م، ٣٩٠- ٣٩٢.

([١٠٩]) حمادي، المرجع السابق، ص ٢٧٦.

([١١٠]) العمري، المرجع السابق، ١/ ٧٠.